مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية
ISSN : 2353- 0529 EISSN 2600- 643X
المجلد 8 / العدد: 04 (2020)، ص 79 - 98

العنـف - قراءة سوسيولوجية في تَعَدّد الأسباب والعوامل-

الأستاذ: العـيد وارم
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج
الأستاذ: محمد كـروم جامعة عمار ثليجي الأغواط

تاريخ الاستلام: 2020/12/20 تاريخ القبول: 2021/01/01 تاريخ النشر:2021/02/26

ملخص:

تُعْتَبَرُ هذه المقاربة سوسيولوجية نظرية في طبيعتها، في حين هدفها تسليط مزيداً من الضوء على ظاهرة العنف، الظاهرة التي حظيت بالكثير من الاهتمام والبحث ومحاولة اكتشاف أسبابها وعواملها، ولعلّ أهم ما ميّزها أنّها متعدّدة العوامل تبدأ من العامل التربوي والاقتصادي و السياسي إلى عوامل أخرى نفسية اجتماعية، دون غض البصر على العامل الإعلامي الذي دخل بقوّة في ضوء التطوّر التقني الحاصل في الحياة المعاصرة، وللعنف أشكال وأنواع كثيرة ومن بينها العنف في المدارس الذي ظهر بقوّة في الآونة الأخيرة، حيث يعتبر أحد تمظهرات العنف الممارس في البيئة المدرسية.

كلمات مفتاحية: العُنْف. العُنْف المَدْرَسِي.،العَوَامِل. الأَسْبَابْ.،التَعَدُّدْ

Abstract:

This approach is considered sociological in nature, while its goal is to shed more light on the phenomenon of violence, a phenomenon that has received a lot of attention and research and trying to discover its causes and factors. Perhaps the most important characteristic of it is

that it is multi-factor, starting from the educational, economic and political factor to other psychological and social factors. Without turning a blind eye to the media factor that has entered forcefully in light of the technical development taking place in contemporary life, violence has many forms and types, including violence in schools, which has appeared forcefully in recent times, as it is considered one of the Appearances of violence practiced in the school environment.
Keywords: Violence; . School violence; factors; Causes; Multiplicity.

1. مقدمة:

يُعْتَبَر العنف أحد أهمّ الظواهر الاجتماعية الموجودة في المجتمعات منذ القدم حيث أثبتت الصراعات التاريخية والأحداث الدموية، والإثباتات الإعلامية والتَأْرِيخِيَة أنَّ العُنْفْ ظاهرة ملازمة للإنسان فالعنف ليس وليد اليوم أو الأمس القريب بقدر ما تضرب جذوره في أعماق التاريخ.

وَتُعَدُّ هذه الظاهرة من أهم الظواهر التي شغلت وتشغل بال الباحثين في مختلف التخصصات العلمية خصوصاً في العلوم الاجتماعية أو الانسانية، أثبت هذا الكمّ الهائل من الدراسات والبحوث والإحصاءات التي تقدّم في مجال العنف بشكل عام .

هَذَا الاهتمام الذي حظيت به هذه الظاهرة يَنْبُعُ من الانعكاسات النفسية والاجتماعية التي تخلّفها هذه الظاهرة على الفرد والمجتمع، فهي ظاهرة تنخر بالمنظومة القيمية للمجتمعات، كما تزعزع الأمن والسلام الاجتماعي الذي بدوره أساس وعامل مهّم من عوامل النمّو والتطوّر والتحضّر.

كَمَا تجدر الإشارة إلى أنّ هذه الظاهرة متشعّبة وشمولية لها تفرعاتها وأنواعها ومؤشراتها، كما لها أبعاد وتجليات وتمظهرات تختلف

بــاختلاف الســلوك وبيئتــه ودوافعــه وغيرهــا مــن العوامــل المســاهمة فــي تفشّــيه، ولعــلّ أهــم مــا يمكــن الالتفــات إليــه باعتبارنــا نهــتم بقضــايا العلــوم الاجتماعية، وعلم النفس ظاهرة العنف في المدارس.

ويُعَــدُّ العنــف في المــدارس أحــد الظــواهر الملفتــة للنظــر كونهــا ظــاهرة تفشّــت بشــكل ســريع ومخيــف ومتزايــد يخلّــف الكثيــر مــن الآثــار الســلبية على كينونــة المــدارس، وعلــى الــدور والهــدف المَرْجُــو منهــا، حيــث أضــحت المــدارس بُــؤَراً لإنتــاج ونشــر وممارســة الســلوكات العنيفــة في البيئــة المدرســية بــرغم تَنَوُّع الفاعلين فيها حيث تنطلق هذه المقاربة من التساؤلات التالية:

- ما مفهوم العنف، والعنف المدرسي؟
- ماهي بعض أسباب وعوامل العنف (وجهة نظر) ؟
- مــاهي أهــم الاقتراحــات التي تســاهم قــد تســاهم في التقليــل من تفشّي هذه الظاهرة؟

2.العنف والعنف المدرسي (مدخل عام) :

1.2 العنــف:

إِنَّ العُنْــف بصــفة عامــة مســألة تمــسُّ الإنســان وخاصــية مــن خصائصــه، وقــد لازم هــذا الســلوك البشــرية منــذ الأزل، حيــث كــان المنطلــق والأســاس الــذي أكّــده التــاريخ البشــري بــأنّ قابيــل قتــل هابيــل، ســواءاً بســبب الغيرة والحقــد أو لأســباب أخــرى، حيــث أنّ العنــف كســلوك مَرَضِــي لا يمكــن تبريــره، وهــو يَــنُمُّ وَيُعَبِّــرُ وَيَــدُلُّ علــى ضــعف وقلّــة نمــو فــي الشخصــية، واضطرابات في الوجدان.

إِذَنْ يحُيلنــا الحــديث بنــاءاً علــى ماســبق إلــى قضــية تأصــيل الظــاهرة تاريخيــاً بمعنــى تتبُّــع الظــاهرة تاريخيــاً، حيــث وجــب علينــا في هــذا البــاب

اسـتقراء التـاريخ لفهـم الطبيعـة الامتداديـة والمسـتمرة للظـاهرة، أو بمعنـى آخـر نموّهـا وتفشّـيها بـالموازاة مـع التطـوّر التقني والتحضّـر والمدنيـة والتطـوّر العلمي والفكـري الـذي أحدثـه العقـل البشـري، حيـث يتبـادر إلى ذهـن كـل مخـتص سـواءاً سـيكولوجياً كـان أو سوسـيولوجياً إلى طـرح التسـاؤل الـذي مفـاده لمـاذا يتطـوّر الإنسـان يومـاً بعـد يـوم في مـا تعلّـق بالجانـب المـادي وحجـم الابتكـارات والاختراعـات والمنتجـات الماديـة، ويتراجـع فـي الجانـب الروحي والأخلاقي والسـلوكي القيمي، حيـث نـرى ونشـاهد حجـم التحـارب (الحـروب)، وحجـم الخلافـات والمشـاحنات اليوميـة بـين الأفـراد فـي جُـلّ المجتمعـات العالميـة، حيـث أنّ العنـف نعتبره ظـاهرة عـابرة للقـارات، ولـيس محصـوراً في مجتمـع مـن دون غيـره، فمثلمـا العنـف موجـود في إفريقيـا كعالم متخلّف، نجده بأرقام ومستويات مهولة في العالم المتقدّم أيضا ؟

وَيُمْكِـنُ القـول أنّ ظـاهرة العنـف تـدفعنا لطـرح وَابِـل مـن التسـاؤلات والأسـئلة والاستفسـارات حـول الظـاهرة، و التي وجـب أن تطـرح باعتبـار أنّ العـالم وإن تغيّـر راديكاليـاً في فلسـفة الحيـاة ماديـاً، إلا أنّ الوحشـية وحجـم الـدمار الهائـل الـذي سـببه البشـر يكـاد لا ينتهي، وهـو مـا جعـل عالـم الـنفس الاجتماعـي "إيريـك فـروم" **Erich.Fromm** (1900- 1980) يتحـدّث أو يصـف العنـف البشـري بأنّـه تـدميري، حيـث أَلَّـفَ كتـاب مـن جـزئين بعنـوان: "تشـريح التدميريـة البشـرية" مؤكـدّاً على أنّ الإنسـان عبـر التـاريخ لـه قـدرة تدميريـة هائلـة، متسـائلاً عـن أعمـال القتـل والـبطش والعنـف والتـدمير، وكيـف يمكـن أن نفسّـر اشتهـاء الإنسـان لأعمـال القسـوة والتخريـب.؟ (الهاشمي، 2006، ص 10).

بِالإِضَـافَة إلـى ماسـبق كتـب " جـون بودريـار" **Jean.Baudrillard** (1929-2007) و"إدغـار مـوران" "**Edgar.Morin**" كتابـاً عنوانـه " عنـف

العــالم" (2005)، فـي إشــارة إلـى عولمــة العنــف بمعنـى أنّ العنــف أصــبح يكتسـي طـابع العالميـة والدوليـة، إي أضـحى قاسـم مشـترك أُمَمِي، يشـترك في ممارسـته كـل الأمـم والمجتمعـات في شـتى بقـاع الأرض، فهـو سـلوك مشـترك، حيـث تضـمّن الكتـاب في مدخلـه أنّ (البشـر مـن كـلّ الأجنـاس وفي كـلّ مكـان يـدخلون في حلبـة العنـف، بـل ويتحوّلـون إل حلبـات عنـف شـاؤوا أم أَبَـوْ، لا اختيـار هنـا، فـالعنف أصـبح سـيد الأحكـام على صـعد شـتى ولأوّل مـرّة يتوحّـد العـالم عبـر العنـف، هكـذا يبـرز المـتن وكـأنّ لا هـامش لـه، إذ العنـف يوحّـد بـين الشـكل والمضـمون، فعولمـة العنـف والتعبيـر عـن العنـف تتبـدّى بجـلاء مشّع). (بودريار و إدغار، 2005، ص 10)

فَلَـيْسَ العُنْـف طارئـاً، أو غريبـاً على سـلوك الإنسـان، فماضـي البشـرية حلقـات متواصـلة مـن الحـروب، وتاريخهـا مشـهد تراجيـدي مُوَشَّـحاً بالـدماء ونكبـات المـوت ترسـم صـورة قاتمـة لمسـتقبل الحضـارة الإنسـانية، ولـيس في الحيـاة سـوى نكبـات متواليـة، وكـوارث مرعبـة، إنهـا ثَقَافَـة العُنْـف الـذي شـكّل تحـدّيا خطيـراً لوجـود الإنسـان منـذ القـدم، فـراح يهـدّد أمنـه وسـلامته واسـتقراره ويهـوي بـه عمقـاً في لجنـة التـوحّش والانحطـاط. (الغربـاوي، 2009، ص 07).

أمّـا في البعـد السـيكولوجي فقـد تـمّ عبـر التـاريخ العلمـي والفكـري والفلسـفي عـرض العديـد مـن الأفكـار والتصـوّرات التي تبحـث في ظـاهرة العنـف البشـري، ومـن بينهامـا قدّمـه كـولن ويلسـون " **COLIN.WILSON** (1931- 2013) فـي كتابـه: " التـاريخ الإجرامـي للجـنس البشـرى – سـيكولوجية العنـف البشـري" (ويلسـون، 2001)، مُتَتَبِّعـاً فيـه مسـار العنـف الطويـل للإنسـان، سـواء على المسـتوى الجمعـي أو الفـردي، وَحَلَّـلَ فيـه

الحـروب وضـحاياها والجـرائم التـي تحـدث يوميـاً وأعطانـا أرقامـاً متوقفـا بالخصـوص عنـد القـرن العشـرين، قـرن التَـوَحُّشْ وَالبَرْبَرِيَـة كمـا يصـفه، ورصـد أيضـا الظـاهرة مـن منطلـق نفسـي لأن العنـف أو على الأَصَحْ الإجـرام لدى ويلسون مرفوض من منطلق أخلاقي.

وَبِنَـاءاً على ماسـبق يمكـن القـول بـأنّ العنـف ظـاهرة عالميـة، يمارسـها الأفـراد بطـرق وأشـكال مختلفـة تختلـف بـاختلاف المواقـف والفـاعلين، بغيـة إلحـاق ضـرراً ماديـاً أو معنويـاً للطـرف الآخـر، وقـد يكـون فرديـاً أو جماعيـاً، مـا يميّـز العنـف كظـاهرة أنّـه سـلوك متجـذِّر في سـلوكات البشـر، منـذ فجـر التـاريخ وظـاهرة مسـتمرة يعجـز المجتمـع عـن ايجـاد حـلاً جـذرياً لهـا وهـي ظـاهرة تـؤرِّق البـاحثين سـواءاً المتخصّصـين فـي السوسـيولوجيا أو السـيكولوجيا أو القـانون، فـلا السوسـيولوجيون بمقترحـاتهم وتوصـياتهم وضـعوا حـدّاً لهـا، ولا السـيكولوجيين بتحلـيلاتهم وتفسـيراتهم، ولا القـانونيين وضـعوا حـدّاً لهـا بـالردع والعقوبـات، وتبقـى ظـاهرة متفشـيّة ملازمـة للإنسـان وعالميـة، فـلا العـالم المتقـدّم ماديـاً حـدّ مـن تفشـيها ولا العـالم النّـامي ، كمـا لـم تخلـو منهـا المجتمعـات الإسـلامية أو غيـر الإسـلامية وهـي مـا تجعلنـا نطـرح الكثير من الأسئلة.

2.2 العنف المدرسي

يُعْـرَفُ العنـف المدرسـي بأنّـه " نمـط مـن أنمـاط السـلوك الـذي ينبـعُ عـن حالـة إحبـاط والتـوتر، ويحتـوي على نِيَّـة سـيئة لإلحـاق الضـرر المـادي والمعنـوي بالكـائن الحي"، وهـو كـذلك: " كـلّ الممارسـات الابتدائيـة البدنيـة أو النفسـية التي تقـع على الطـلاّب مـن قبـل معلّمـيهم أو مـن بعضـهم على بعـض في المدرسة". (علوان، 2019، ص 3)

فَــالعُنْف المدرســي نمــط مــن الســلوك تسـم بالعدوانيــة صـدر مــن طالــب أو مجموعــة مــن الطالــب ضــد طالــب آخــر أو مــدرس وتســبّب في إحــداث أضــرار مــادّة أو جســمية أو نفســية أو اجتماعيــة ويتضــمّن هــذا العنــف الهجــوم و الاعتــداء الجســمي و اللفظــي و العــراك بــين الطــلاب و التهديــد و المطــاردة و والمشــاغبة و الاعتــداء علــى ممتلكــات المؤسســة و الطلاب". (حسين، 2007، ص 84).

وَيُمْكِـنُ القــول أنّ العنــف المدرسـي يعبّـر عــن مجموعــة مــن الســلوكات التي تلحــق الأذى بــالآخرين في البيئــة المدرســية، تختلــف أنواعــه (مــادي أو معنــوي)، وتختلــف أســاليبه وطرقــه، كمــا أنّ نتائجــه نسـبية علـى الفــاعلين والمفعــول بهــم، وأنّ دوافعــه عديــدة ومتعــدّدة وعلــى رأســها التنشــئة الاجتماعية والثقافة السائدة.

وللعنــف المدرســي أشــكالاً عديــدة وأبرزهــا حســب العديــد مــن الدراسات:

- ❖ **العنف الجسدي (المادي):** استخدام القوّة الجسدية من أجل الايذاء
- ❖ **العنف النفسي (المعنوي):** إلحاق الضرر بالمعنويات والجوانب النفسية للآخر

وَعَلَيه يمكن القول أنّ العنف بشكليه له آثاراً عديدة، ويترك حالة من اللاإستقرار داخل البيئة المدرسية ممّا يتوّلد عنه في بعض الأحيان ظواهر أخرى كالتسرُّب المدرسي وغيرها، حيث حالة التوتُّر في المحيط المدرسي من شأنها أن تنعكس سلباً على الغاية الأسمى للمدرسة والتمدرس، فالغاية هي إنتاج جيل متشبّع بالقيم الأخلاقية، والتأهيل العلمي، وكسب المهارات لبناء جيل كقيمة مضافة لمجتمعه وأمته وللبشرية كافة.

وَيُمْكِنُ القول أن الضرر الأكبر الذي ينعكس على ممارسة العنف في المدرسة هو **الضرر المعنوي** الذي يؤول إلى الإحباط وكره المدرسة بالأخّص في الفترات الأولى من التمدرس، حيث أنّ التعرُّض للعنف من شأنه إحباط المعنويات، وتراجع التلاميذ في مستوياتهم التعليمية وتغيير ميولاتهم واتجاهاتهم نحو المدرسة إذ يمكن القول أنّ البيئة المدرسية حاضنة للتلاميذ وهي في المرتبة الثانية بعد الأسرة، وإنّ نقص المرونة والتعامل الجيّد في المدرسة من شأنه تدمير رغبة التلاميذ في المراحل الأولى من التمدرس، وهي الانعكاس الذي أدّى إلى تفشّي ظاهرة التسرّب المدرسي، فالتنمّر والعنف، والتغوّل في البيئة المدرسية من الظواهر المتفشّية في مدارسنا وحتى جامعاتنا، ولذلك وجب دق ناقوس الخطر.

إِنَّ التركيز على انعكاسات العنف المعنوي للعنف من باب الآثار المدمّرة لشخصية التلميذ في المدرسة، ولذلك فإنّ الإحباط بسبب الترهيب والتخويف، والسبّ والإهانة سواءاً من المعلمّين أو من التلاميذ بعضهم على بعض مآلاته خطيرة على الصحّة النفسية للتلميذ، كما أنّها أحد المنعرجات والمراحل الهامّة في بناء شخصيته.

حَيْثُ كشفت دراسة – حسب موقع جريدة الخبر- أجرتها وزارة التربية الوطنية أن مؤسسات التعليم المتوسط، تمثل أكبر نسبة عنف مسجل خلال سنة 2016 بنسبة 52 بالمائة من مجموع أعمال العنف في الوسط المدرسي وحسب الإحصائيات المقدّمة في معرض عرض "الإستراتيجية القطاعية للمكافحة و الوقاية من العنف في الوسط المدرسي" فإن المتوسطات تشهد أكبر نسبة عنف سجل خلال سنة 2016 بنسبة52 بالمائة تليها الإبتدائيات بنسبة 35 بالمائة فيما يمثل العنف في مؤسسات التعليم الثانوي نسبة 13 بالمائة" وأفادت إحصائيات وزارة التربية أن " العنف ما بين التلاميذ يمثل نسبة 80 بالمائة، في حين وصلت نسبة العنف الذي يقوم به التلاميذ ضد أساتذتهم نسبة 13 بالمائة، والأستاذ ضد

التلاميذ نسبة 5 بالمائة و الأساتذة ضد بعضهم البعض نسبة 2 بالمائة "..(موقع جريدة الخبر،2017، https://www.elkhabar.com)

وَ أَبْرَزَتْ الدراسة أن "العنف المعنوي يمثل نسبة 75 بالمائة، ويشمل (الشتم بنسبة 44.20 بالمائة و التهديدات نسبة 17.37 بالمائة و عدم احترام الغير بنسبة 13.15 بالمائة)، في حين يمثل العنف الجسدي نسبة 25 بالمائة "، وهذا ما يؤكّد أنّ العنف المعنوي متفشّي في الأوساط التربوية والبيئة المدرسية وأنّ علينا البحث على سبل التقليل من حدّته لما له من آثار حادّة من خلال عرقلة تحقيق الغايات والأهداف التربوية التي نشأت من أجلها المدرسة. "..(موقع جريدة الخبر،2017، https://www.elkhabar.com)

3.بعض أسباب وعوامل العنف (وجهة نظر) :

وَ بِناَءَاً على ما سبق يمكن القول أنّ مردّات وعوامل وأسباب العنف المدرسي كثيرة ومتعدّدة وفي هذه المقاربة نستعرض بعض الأسباب وليس كلّها لأنّ ظاهرة العنف أكبر من أن تحصر في عوامل محدّدة بقدر ما هي كلّ متكامل متناغم ومتّسق، كما أنّ تفسير العنف المدرسي كشكل من أشكال العنف مرتبط ارتباطاً وثيقاً بأسباب العنف بصفة عامة، وهذه بعض العوامل من وجهة نظرنا:

أَشَارَ ستيوارت هنري (**stuart henry**) ، في دراسته تحت عنوان: **" ما هو العنف المدرسي تعريف متكامل للمشكلة "** إلى ضرورة اتباع نهج أوسع بكثير للتعرّف على أسباب العنف المدرسي، بدلاً من العمل ببساطة على المستوى الفردي أو الجزئي للتحليل من خلال التفسيرات النفسية والظرفية لأسباب تصرف الطلاب بعنف، حيث أنّنا نحتاج إلى معالجة سياق الطلاب في ضوء عائلاتهم وعرقهم وجنسهم وطبقتهم الاجتماعية، نحن بحاجة إلى استكشاف

كيفية ترابط هذه الأبعـــاد. (henry, 2000. www.researchgate.net/publication/241643857)

وَبِنَاءاً عليه فإنّ أسباب ومردّات ظاهرة العنف بشكل عام متشابكة وعميقة ووجب النظر إليها منذ البداية في التحليل إلى الأبعاد المتعدّدة حيث نجد أن العوامل الاقتصادية والسياسية والنفسية الاجتماعية، والثقافية التربوية تشترك كلّها في بروز هذه الظاهرة، بحيث تجتمع كلّها لتكوّن فلسفة حياة البشر، والنقص في تحقيق الحاجات والإشباعات من شأنه أن ينتج الفرد العنيف، والمجتمع العنيف، فالعنف ينتج العنف وبالتالي يستحيل إلى ثقافة اجتماعية تترسّخ في الذهنيات ويمارس بشكل يومي في إطار ثقافة العنف المستشري في النفوس والعقول.

أولا: العامل الاقتصادي: يكتسي العامل الاقتصادي والمادي، والحياة المادية للأفراد والمجتمعات أهمية بالغة في إطار السعي نحو تحقيق نوعاً من السلام الداخلي والاطمئنان، فتحقيق الاكتفاء المادي للفرد والمجتمع يفتح آفاقا، ويسدُّ أبواب الاتجاه نحو العنف واكتساب تلك الحيوية والرغبة في عيش الحياة بهدوء فالرخاء المادّي يساهم بشكل كبير في مأسسة ثقافة العيش بسلام، يقلّل الاتجاهات والميولات نحو تلك الممارسات، بل يؤسس لثقافة اللاعنف.

وَيُعَدُّ العامل الاقتصادي أحد أهم القطاعات الهامة للحكومات والدول، ويبدوا أنّ مجموعة من الدول حقّقت نوعاً من الرخاء الاقتصادي قلّ فيها الاتجاهات نحو الممارسات العنيفة (نسبياً طبعاً) فهناك علاقة ارتباطية بين النمو الاقتصادي والتوزيع العادل للثروة، ومدى الاستقرار والسلام الاجتماعي حيث يظهر جليّاً أن الاكتفاء المادي والحصول على كرامة العيش له علاقة بالصحّة النفسية للأفراد والمجتمعات ممّا يساهم في التقليل من حدّة الظاهرة،

ففي حالات الرخاء في الغالب يتّجه الأفراد نحو استغلال الفرص المتاحة للعيش بشكل مختلف، والبحث على الحياة الهادئة والمطمئنة.

ثانيا: العوامل السياسية: لا يمكن أن ننكر أنّ هذا العامل من أهم العوامل إن لم نقل أهمّها حيث أن التشريعات والتخطيط ورفع مستوى الجانب الاقتصادي مرهون بالسياسات الناجعة والناجحة والحوكمة الرشيدة في التسيير والاستثمار، واستغلال الموارد من جهة، من جهة أخرى تكريس العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة وتسيير شؤون البشر كذلك له انعكاس ايجابي على المستوى الاجتماعي سلوكياً، حيث أنّ السياسات تلعب دوراً قيادياً وإنّ الاستقرار الاجتماعي وبعض القيم الجماعية مرهونة بقوّة الدولة وسياساتها الاجتماعية، فكلّما كانت السياسات تميل إلى تحقيق العدالة الاجتماعية كلّما زاد التماسك الاجتماعي، ونمت روح المواطنة والتكافل والتضامن الاجتماعي .

فَالقِمَّة (الدولة) كالقاعدة (الشعوب) يتحملاّن المسؤولية في بناء المجتمع البناء السليم وتحقيق جودة الحياة، فقد كثر الحديث في المجتمعات التي تعاني من التخلّف الثقافي والسياسي في توجيه أصابع الاتهام إلى بعضها البعض فجزء منها يحمّل مسؤولية التخلّف الاجتماعي إلى القمّة لوحدها بسبب فشل السياسات، وجزء آخر يحمّل كافة المسؤولية للقاعدة باعتبارها فشلت في التنشئة الاجتماعية ممّا يعني الفشل في إنتاج أفراد يقدّمون لمجتمعاتهم ما يجب تقديمه من أجل تحقيق الاستقرار الاجتماعي، وعليه فمن وجهة نظرنا يمكن القول أنّ القمّة لها مسؤولية في أن تقدّم سياسات وتشريعات تنبع من تخطيط ورشادة وسياسات تتأسّس على فكرة تحقيق النمو والتنمية وتكريس مبادئ العدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان من جهة، منجهة أخرى القاعدة لها جزء لا يستهان به من المسؤولية في ما تعلّق بالتنشئة الاجتماعية التي وجب أن ترتكز على إنتاج

الإنسان الذي يؤمن بالتوازن بين آداء الواجبات والمطالبة بالحقوق، وهي النظرة التي أثبت التاريخ أنّها أنجع الطرق والفلسفات التي تحقّق المجتمعات المستقرّة والمتوازنة.

ثالثا: العوامل النفسية الاجتماعية: قدّمت الكثير من النظريات أفكار تنظيرية حول أنّ العنف متجذّر في النفس البشرية فحسب رأيهم **أنّ العوامل النفسية** (منبثقة من الشخص نفسه، وسماته العقلية والانفعالية مثل: الإحباط، الحرمان، الصراع، الصدمات، الانفعالات، القلق، الاكتئاب، في حين أنّ العوامل الاجتماعية مثل: التنشئة الأسرية، المدرسة، جماعة الرفاق، ووسائل الإعلام...) (حكيمة ، بلعسلة، 8-7 ديسمبر 2011، ص 15)

وَلَعَلَّ العوامل النفسية الاجتماعية تعدّ كذلك مهمّة حيث أن الجانب السيكولوجي للفرد والحالة النفسية مرهونة بمجموعة ظروف ومدى تحقيق الفرد لجملة من الاشباعات للحاجات الضرورية بالأخّص وإنّ أي نقص في تحقيق هذه الحاجات يتمظهر في جملة من السلوكات من بينها العنف الذي سببه الاحباط وانسداد في الآفاق والقلق على المستقبل وهو ما يؤدي بالفرد غالبا إلى التعبير عنها في شكل سلوكات تتنافى ومنظومة القيم الدينية والاجتماعية.

وَتُعَدُّ التنشئة الاجتماعية ضمن أهم المحاور التي تأخذ بعين الاعتبار في إطار البحث على أسباب تفشّي ظاهرة العنف والعنف المدرسي، حيث أنّ هذا الأخير يعبّر بالضرورة على هشاشة القيم والمبادئ التي تلقّاها الفرد طيلة فترات التنشئة الاجتماعية، فانهيار هذه القيم وتلاشيها يتمظهر في جملة السلوكات الغير مرغوب فيها اجتماعياً، وهو تعبير على الفشل التربوي بقيادة الأسرة والمدرسة، فبعض الأسر هي في حدّ ذاتها منتجة للأفراد وفقاً لثقافة العنف من خلال المشاكل الأسرية ومن خلال التفاعلات الأسرية التي يسودها العنف والغضب والإهانة سواءاً بين الزوجين أو الأولياء ممّا ينجرُّ عنه مستقبلاً جيلاً متشبّع بثقافة

العنف من خلال القدوة، فالاقتداء من أهم وسائل اكتساب السلوك والأفكار والميولات والاتّجاهات ولذلك فالأسرة سلاح ذو حدّين، فإمّا أن تكون منتجة لقيم وسلوكات في منحى ايجابي يتأسّس على قيم التسامح والأخوة والتعاون والمودّة ينشأ في ظلّها الفرد يتشبّع بها وبالتالي مشروع إنتاج فرد سوّي متسامح وإمّا أن تكون الأسرة منتجة لثقافة معاكسة من خلال التشجنّات والتفاعلات السلبية مع مشكلات الحياة، ونمط التفاعل والتعامل بين الأولياء وبين محيط الفرد الاجتماعي، الأمر الذي يكرّس وينتج ثقافة العنف الذي يصبح في ما بعد ثقافة الفرد ومنطلقاته، حيث يسود السلوك العنيف سلوكاته في التعاطي مع القضايا الفردية والاجتماعية.

إنَّ الحديث على ظاهرة العنف المدرسي لا يمكن أن تكون إلا ضمن البارادیغما الكلّية لظاهرة العنف، فالعنف المدرسي ليس إلاّ ظاهرة جزئية من الظاهرة الكلّية المتعدّدة الأسباب كما سبق وأن ذكرنا وإنّ العنف المدرسي هو سلوك ضمن مجموعة من السلوكات السائدة في المجتمع، هذا الأخير أصبح ثقافة مجتمعات، من خلال إعادة إنتاج العنف من قبل الأسر، والمدارس، وجماعة الرفاق، وغيرها من المؤسسات التي تخضع بطبيعة الحال إلى ثقافة المجتمع، دون أن ننسى وسائل الإعلام التي دخلت بقوّة على الخط وأخلطت الأوراق في ما تعلّق بالتنشئة الاجتماعية لتصبح من أهم مصادر الاكتساب وتلقّي المعارف والأفكار، وتكوين الميولات والا تجاهات من خلال ما اكتسبته من حجم الاستخدام، ومن خلال المضامين المعروضة التي عمّقت الهوّة ، وزادت من حدّة التأزُّم السلوكي والقيمي للمجتمعات.

إِذَنْ فـالعنف المدرسي هـو تحصـيل حاصـل للعنـف المجتمعي الكلّي الـذي يسـود المجتمعـات، ولا يمكـن الحـديث على العنـف المدرسـي إلاّ مـن خـلال الفهـم العام للعنف ككل، فالعنف المدرسي لم يتوّلد فقط في المدرسة لسبب أو لآخر، أو في بيئـة أخـرى بقـدر ماهو موجـود سـابقاً، فالاسـتعدادت والأذهـان مهيـأة مسـبقاً لممارسـة العنـف والتعـاطي معـه في الحيـاة، والاسـتعدادات لممارسـة العنـف هي الفيصـل وهي حجـر الزاويـة في فهـم السـلوكات، وبالتـالي فـإنّ النقطـة الأساسـية الواجـب أخـذها بعـين الاعتبـار هي السـؤال حـول الاسـتعدادات والـذهنيات التي تمـارس العنـف وفي بعـض الأحيـان يكون دون مبرّرات وهـو مـا يعبّر عـن إشـكالية ذات بعد ثقافي بمعنى تحوّل العنف كممارسة إلى أسلوب حياة فرضته العديد من العوامل بـالرّغم مـن أنّ العنـف لا مبرّر لـه باعتبـاره سـلوك يتنـافى والقـيم الدينيـة والأخلاقية.

وَبِنَاءاً على ماسـبق استهلّ كولن ويلسـون فصـل في كتابـه " التـاريخ الإجرامي للجـنس البشـرى - سـيكولوجية العنـف البشـري"، المتعلّـق ب " نمـاذج خفيّـة مـن العنف " بقوله: (لاحظت على سبيل المثال، أنّ دوافع القتل تختلف من دولة إلى دولـة، فالفرنسـيون والإيطاليون يقتلـون لأسـباب عاطفيـة، والألمان يقتلـون بـدوافع سـادية والإنجليز يقتلـون بعـد وضـع خطّـة دقيقـة ينفّـذونها بعنايـة فائقـة – غالبـاً الضـحية شـريك عمـر أو حبيـب-، والأمريكيّـون لأسـباب عاديـة وليـدة اللحظـة، وتختلـف أنـواع الجريمـة أيضـاً عبر الـزمن من قـرن إلى قـرن، بـل من عقـد إلى عقـد، ففـي إنجلتـرا وأمريكـا كـان نمـط الجريمـة ودوافعهـا يـدوران في الأربعينيـات والخمسـينيات من القـرن العشـرين حـول المـال والجـنس، وبعـدها أدركـت أنّ هنـاك أنواعـاً جديـدة الجريمـة قـد بـدأت في الظهـور، وهي القتـل بـلا دافـع. (ويلسـون، 2001، ص 15)

رابعاً : الإعلام وتفشّي ظاهرة العنف : أبرز ما ميّز هذا العصر هو التطوّر التقني المهول الذي ساد الحياة المعاصرة بشكل عام، تمظهر هذا التطوّر في وسائل الاتصال والتواصل الاجتماعي، وتطوّر الميديا، وبروز ما يعرف الميديا الجديدة التي أحدثت نقلة نوعية في فلسفة الحياة والتواصل، ممّا أحدث تغيُّراً اجتماعياً في بنى ومؤسسات المجتمع، وكذا في التفاعلات والعلاقات الاجتماعية.

كَمَا أنّ تأثير هذه الوسائل بدأ يظهر على الصعيد القيمي والسلوكي، من خلال بروز عدّة سلوكات وأنماط تفاعلية بين الأفراد، وترى بعض الدراسات أنّها أسهمت بشكل أو آخر في تنامي ظاهرة العنف بالأخص لدى التلاميذ ممّا عمّق في الهوّة بين القيم ومرجعيتها، والسلوكات في الواقع المعاش بسبب المضامين الإعلامية وما تنتجه وتنشره وتوزّعه في الجانب التربوي والثقافي في المجتمع.

فَالتَعَرُّض لمشاهدة مضامين العنف يشجّع على سلوك العنف لدى الأطفا وهناك دلائل كثيرة من واقع أبحاث علمية على امتداد عشرات السنّين تؤكّد نتائجها على العلاقة بين مشاهدة العنف في التلفزيون والسلوك العدواني لدى الأطفال وذلك (صالح، 2006، ص _ ص 278-277):

- بتعليم المشاهدين أفعالاً عدوانية غير معروفة .
- تشجيع استخدام العدوان بطرق مختلفة.
- تقليد السلوك العدواني.
- حرمان الأطفال نتيجة الاستخدام من مجالسة العائلة.

فِي هَذَا الإطار أشار **MICHAEL FURLONG AND GALE MORRISON** في دراستهما المنشورة في مجلّة " **Journal of Emotional and Behavioral Disorders**" سنة (2000) تحت عنوان " المدرسة في العنف المدرسي: التعريفات والحقائق، إلى أنّ تحليل ومناقشة الأسباب الثقافية للعنف المدرسي ركّزت على

دور العنف في الإعلام من خلال الأفلام و مقاطع الفيديو وألعاب الفيديو على الإنترنت وثقافة السلاح، فالعنف الثقافي يتضخم ويزيد من حدّة الميولات العدوانية من الذكور الشباب خاصة، إنّه يقلل من قيمة البشر في صور رمزية للكراهية أو السخرية، ويدرب الشباب على استخدام المهارات العنيفة، والاحتفاء بالموت والدمار كقيم إيجابية ، وتقديم نماذج مثيرة وملونة فالذين يستخدمون العنف كحل للمشاكل ويمجدون أقوى العروض وأكثرها تدميراً عبر الأخبار وسائل الإعلام والترفيه، ممّا يؤدي إلى تكريس الثقافة السامة وتسميم عقول الأطفال. (FURLONG, GALE, summer 2000)

وبناءاً على كلّ ما سبق نستنتج بأنّ ظاهرة العنف ظاهرة ماكروسوسيولوجية مسّت كافة المجتمعات بالرغم من تعدُّد واختلاف الثقافات، والأديان ومنظومات الفكر والثقافة، ومنظومة القيم ومصادرها، وبالرغم من اختلاف المستويات في ما تعلّق بالنمو والتحضّر والتقدُّم أو التخلّف والضعف والانحطاط، وبالرغم من الاختلافات على مستوى البيئة والحيّز الجغرافي إلاّ أنّ سلوك العنف وإن اختلف في أساليب ممارسته إلاّ أنّه القاسم المشترك لمختلف شعوب العالم باعتباره سلوك مشترك عالمي.

وَتَجْدُرُ الإشارة إلى أنّ عوامله ومردّاته كثيرة ومتعدّدة فمنها التربوي والسياسي والاقتصادي والثقافي والنفسي وغيرها من العوامل، ومساهمة هذه العوامل في تفشّي وتنامي هذه الظاهرة متفاوت وإنّ التغيُّر من الحالة والظرف المعاش هو الذي يبرز حجم مساهمة أي عامل في الظاهرة، إذ من الممكن جدّاً الحصول على نتائج من خلال تغيُّر مثلاً في حالة الاقتصاد من ركود إلى انتعاش الذي بدوره سينعكس على الحالة المعيشية للأفراد والمجتمعات، وآنذاك يمكن أن نقوم بتحديد مدى مساهمة العامل الاقتصادي في تفشّي ظاهرة العنف بشكل عام، هذا الأمر ينطبق بشكل كبير على العنف المجتمعي، أمّا العنف المدرسي

فمنطلقاته تربوية وتناميه يرجع إلى مسبّبات أخرى على غرار الجوانب النفسية والتقليد بسبب أصدقاء السوء، وغيرها من الأسباب التي تشترك في بروز وتنامي الظاهرة.

وَمِنْ خلال المقاربة التي تبحث في تعدّدية أسباب وعوامل العنف والعنف المدرسي، يمكن عرض جملة من التصّورات والمقترحات متعدّدة لتعدّد الأسباب كما يلي:

- ✓ **على الصعيد التربوي:** إتباع منهج تربوي يقوم على تنمية حس الإبداع والابتكار، وتنمية الفضائل الأخلاقية وتعزيزها .
- ✓ **على الصعيد السياسي:** تركيز السياسات على وضع الأولويات والاهتمام بها في أولّها الجانب التربوي و الجانب الاقتصادي لتوعية وتنشئة الأفراد على فلسفة التوازن بين الحقوق والواجبات لتحقيق التوازن الاجتماعي والاستقرار الاجتماعي.
- ✓ **على الصعيد الإعلامي:** الالتفات إلى التربية الإعلامية و اعتمادها في المناهج التربوية من جهة، من جهة أخرى التأسيس لتكوين وتنشئة الأفراد في ضوء ما أصبح يعرف بالمواطنة الرقمية، حيث لا يمكن في الوقت الحالي التهرّب من التطوّر التقني والتكنولوجي الذي تمظهر في وسائل الاتصال والتواصل، بقدر ما وجب الاندماج في هذا العالم الرقمي والتأسيس لمجتمعات رقمية بأبعادها القيمية المحلية، بمعنى دون الاتغماس في الشق الثقافي والقيمي لها.
- ✓ **على الصعيد الثقافي:** تعزيز ثقافة التسامح والإخاء والمحبّة بداية من الأسرة وفي الفضاء العام، وتعزيز قيم التضامن والتكافل بالأخص في ضوء تطوّر وسائل الاتصال والتواصل.

4. خاتمــة:

وهــب الله الإنســان عقــلاً يميّـز بــه الأشــياء والأفكـار وقــدّم لــه دينــاً متضـمّن منظومـة قيميـة وأخلاقيـة تجعـل منـه راقيـاً ومهـذباً ومحبـاً للحيـاة ومقـبلاً عليهـا، حيـث كمـا سـبق أن أشـرنا أنّ العنـف أضـحى بـلا دافـع مـع التطـوّر في الحيـاة بشـكل عـام، فـالتطوّر المـادّي الحاصـل في العـالم المعاصـر تمظهـر في الحضـارة الماديـة المبهـرة والخياليـة التي يعيشـها الإنسـان اليـوم والتي سـهّلت حياتـه، بـل جعلتهـا أكثـر رخـاءاً ورفاهيـة، لا يعكـس التطـوّر الروحي الـذي تعيشـه البشـرية اليـوم في ضـوء الحـروب والاقتتـال، وسـيادة الحقـد والكراهيـة والبغضـاء واللاإسـتقرار الاجتمـاعي مـن شـأنه أن يجعلنـا نطـرح الكثير مـن الأسـئلة حـول الـروح التدميريـة لـدى الإنسـان على حـدّ تعبير إيريك فروم.

وعليــه يمكــن الخــروج بــبعض الاســتنتاجات المتوصــل إليهــا وفقــاً للقراءات في الموضوع كما يلي:

- العنف من الظواهر العالمية التي رافقت سلوك الإنسان منذ فجر التاريخ، فهي سلوك يمارسه الإنسان منذ القدم، فقط تجدّدت الوسائل والأدوات بفعل التطوّر في صناعة الأسلحة والأدوات لكن التدمير سلوك مشترك لدى الإنسان منذ القدم.
- من أهمّ خصائص ظاهرة العنف أنّها متعدّدة الأسباب والعوامل ويساهم كلّ عامل بقدر معيّن من تفشّي السلوك، ولا يمكن تحديد العنف بعامل واحد .
- العنف المدرسي أحد أهم أنواع العنف الممارس في المجتمعات، ولا يمكن دراسته بمعزل عن السياق الثقافي والاجتماعي والتربوي ومستوى الأداء السياسي و النجاعة الاقتصادية .

- يظهر جليّاً مساهمة العامل التربوي، والأسري، والبيئة المدرسية في تفشّي العنف في المدارس، لذلك فالعنف المدرسي مثل العنف راجع إلى إعادة الإنتاج المجتمعي، بالإضافة إلى العوامل المدرسية، وغيرها من العوامل.

5. قائمة المراجع:

علوان، أزهار. (ماي 2019). العنف المدرسي وأثره في انتشار ظاهرة أطفال الشوارع (حلول ومعالجات) . المجلّة العربية للعلوم التربوية والنفسية ، (10). 1-12.

الغرباوي، ماجد .(2009) .تحدّيات العنف .بيروت، لبنان :المعارف للمطبوعات .

حكيمة، آيت حمودة. فتيحة، بلعسلة. (8-7 ديسمبر 2011). مظاهر وأسباب العنف في المجتمع الجزائري من منظور الهيئة الجامعية. الملتقى الوطني حول التربية في الحدّ من ظاهرة العنف . جامعة الجزائر : مخبر الوقاية والأرغونوميا.

بودريار،جان، إدغار، موران. (2005) .عنف العالم .سوريا. دار الحوار للنشر والتوزيع.

طه،حسين عبد العظيم .(2007) .سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي .دار الجامعة الجديدة.

صالح، أبو أصبع .(2006) .الإتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة .عمان :دار مجدلاوي.

محمود، منقذ الهاشمي. (2006). مقدمة الترجمة العربية في كتاب إريك فروم، تشريح التدميرية البشرية. دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

ويلسون، كولن .(2001) .التاريخ الإجرامي للجنس البشري -سيكولوجية العنف البشري- . دم :جماعة حور الثقافية .

FURLONG, MICHAEL, GALE, MORRISON. (summer 2000). The School in School Violence, Definitions and Facts. journal of emotional and behaviorale disorders , l 8 (2).pp 71-82.

henry, stuert. (January 2000). what is school violence an integrated difinition of the problem. The Annals of the American Academy of Political and Social Science.

https://www.elkhabar.com/press/article